بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (الروم30 / 22) . والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمين أفصح من نطق بالضاد وعلى آله وصحبه أجمعين و بعد :

إن دراسة اللغة من العلوم الموضوعية التي ينبغي ألا تخضع لهوى أو لرأي ، الأمر الذي يستوجب وجود حقيقة علمية – عرفناها أم غابت عنا – حول هذه القضية أو تلك ، و مع وجود خلاف قائم بالفعل بين اللغويين القدامى ، فإن الأمر يتطلب منا قراءة جديدة لتلك الخلافات في عصرنا هذا الذي تقدمت وسائله و مناهجه اللغوية ، و من تلك المناهج علم اللغة المقارن في الدراسات (السامية) المعاصرة الذي يستطيع أن يقدم لنا نتائج غير مسبوقة لحل قضايا الخلاف .

هذه الدعوة التي أصبح بالإمكان السير على نهجها – إلى حد كبير – في علم اللغة الحديث لم تنل حظها عند علماء اللغة القدامى كما ينبغي أن يكون . ولهذا السبب يرجع كثير من الخلافات اللغوية بين العلماء القدامى و التي لم يصلوا فيها إلى قول فصل فيما بينهم ، بل تمسك كل برأيه حسب منهجه الذي يسير عليه من اعتماد على السماع ، أو اعتماد على القياس أو المنطق العقلي أحيانا ، الأمر الذي يدعونا اليوم إلى مزيد من البحث في مجال علم اللغة المقارن ، لحل كثير من الخلافات اللغوية العالقة إلى الآن .

يدعونا إلى ذلك تلك القرابة اللغوية بين العربية و أخواتها (الساميات) ؛ حيث يؤكد كثير من الدارسين المعاصرين أن ما يسمى اصطلاحا باللغات السامية إنما هي لغة أصلية واحدة لشعب واحد ، تفرعت إلى عدة لهجات مع تفرق الناس وتباعدهم في المكان والزمان ، وتكوينهم مجتمعات جديدة صارت لها سمات مميزة ، وحياة خاصة بها ، حتى إذا اعتمل الدهر فيها صارت لها ألسن مستقلة.

ويؤكد المنصفون من علماء الساميات أن اللغة الأصل لتلك اللغات كانت هي اللغة العربية ، خرجت مع أصحابها من جزيرة العرب في موجات متتابعة من الهجرات إلى حيث الكلأ والعشب والماء شمالا أو جنوبا ؛ يرجح ذلك أن اللغة العربية احتفظت في داخلها بكل ملامح أخواتها - وإن شئت فقل بناتها - من اللغات السامية المجاورة ، فهي أعم وأشمل ، بحيث نستطيع أن نقول : إن كل لغة سامية لها خصوصية اللهجة داخل اللغة العربية ، ولكنها لهجة من نوع خاص لها حدود الزمان والمكان والاستعمال ، فكان المعجم المشترك وكان المعجم الخاص ، نجد المعجم المشترك متعرضا لتيارات التطور اللغوي ، والمعجم الخاص متعرضا لتيارات الإقراض والاقتراض .

ولما كانت قضايا الخلاف لا حصر لها عند القدماء فقد رصدت هذه الدراسة بعض قضايا الخلاف الصرفي عند القدامى منطلقة من شروح كتاب له قيمته في الدراسات اللغوية وهو (فصيح ثعلب) لما ظهر فيها من تنوع منهجي وغزارة علمية ، ومنها عرجت على آراء القدماء المختلفة حولها ، ثم انتقلت إلى آراء الباحثين المعاصرين حول هذه القضايا لتقتحم في النهاية مجال الساميات المقارنة - وغير الساميات أحيانا - والتي وجدت من خلالها القول الفصل في معظم هذه الخلافات ، الأمر الذي غفل عنه الكثير من الدارسين قديما وحديثا .

ومن شروح الفصيح التي تناولها العلماء بالتحقيق و الطبع : تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه (ت 347 هـ) - شرح الفصيح في اللغة لابن الجبان الأصبهاني الرازي (توفى بعد 416 هـ) - إسفار الفصيح ، للهروي النحوي (ت 433 هـ) - شرح الفصيح ، للزمخشري (ت 538 هـ) - شرح الفصيح، لابن هشام اللخمي (ت 600 هـ - تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح (السفر الأول) ، لأبي جعفراللبلي (ت 691 هـ).

وقد وضعت الدراسة بعين الاعتبار كتابات المتميزين من رواد الدراسات السامية المقارنة من أمثال : وليام رايت وأوليري وجزينيوس وبروكلمان وبرجشتراسر وموسكاتي ونولدكة ، وغيرهم ممن درسوا الساميات وتركوا لنا معطيات يمكن إعادة قراءتها بما يفيد الدرس اللغوي العربي في هذا الشأن كذلك ما قدمه الباحثون العرب في مجال اللغات السامية ، وغيرهم من بعض أهل تلك اللغات .

وعكفت الدراسة على بعض الدراسات التي عرضت النقوش الجزرية المكتشفة حديثا ، محاولة قراءتها من منظور لغوي لا تاريخي بغرض استثمارها في خدمة موضوع البحث .

وكنت حريصا على إدراج القراءة الصوتية لجل المواد اللغوية السامية (داخل النص المقتبس أو خارجه) ؛ وذلك مراعاة للقارئ غير المتخصص في الأبجديات السامية . كما كنت حريصا على توثيق الآيات القرآنية ، وضبط الشواهد ونسبتها إلى بحرها الشعري .

وتشتمل الدراسة على مقدمة و تمهيد و ستة فصول وخاتمة . تناولت في التمهيد الساميات المقارنة وأهميتها أوجاءت الفصول على النحو التالي :

الفصل الأول : في الأصول الجزرية أتناول قضايا خلافية تخص اشتقاق الأسماء ذات الجذر العربي الخالص المنسوب إلى جزيرة العرب (السامي أو الجزري) وناقش المواد التالية: (آمين – أبلّة – أول – اطمأن – تنور – توراة – خنزير – سموأل – عميت – كينونة وقيلولة – ناس) .

الفصل الثاني : في الأصول المعربة ، ناقش بعض المواد الخلافية ذات الأصل المعرب من لغات غير جزرية (غير سامية) ولكنها ارتبطت بالساميات بشكل ما ، وتناول المواد التالية :(باج – بغداد – حب – ديوان – زئبق – طست – طيلسان – منديل) .

الفصل الثالث : في الثنائيات اللغوية ، وناقش الخلاف حول الثنائيات (أب – أخ – أم – دم).

الفصل الرابع : في الإشاريات الأحادية : (الجذر الإشاري (ذ) – ملحقات الإشارة (ل ،ك).

الفصل الخامس : في عين المضارع أوناقش الخلاف حول (عين المضارع وأحوالها – حروف الحلق وتأثيراتها – قضية أبى يأبى) .

الفصل السادس: في قضية (فعلت وأفعلت) (فعلت وأفعلت باختلاف المعنى – فعلت وأفعلت باتفاق المعنى – فعلت وأفعلت في الساميات المقارنة) .

وفي النهاية أؤكد أن هذا الموضوع لن يقف عند حدود هذه الدراسة ؛ بل سيتبعه المزيد من البحث حول قضايا خلافية أخرى بإذن الله تعالى أراجيا الله – عز وجل – أن أكون قد وفقت فيما

توصل إليه البحث من نتائج ، وما كان من صواب فمنه سبحانه ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د / السيد محمد منازع علي

التمهيد

أهمية الدراسات السامية المقارنة

نبه الباحثون المعاصرون على أهمية الدراسة المقارنة باللغات السامية ؛ لما لها من فضل عظيم في خدمة قضايا اللغة العربية وأهم تلك القضايا قضايا الخلاف اللغوي ، يشير إلى ذلك أستاذنا د. رمضان عبد التواب – رحمه الله – فيقول : " لا شك أن هناك فوائد كثيرة تعود على الدرس اللغوي من معرفة الدارس باللغات السامية ، فإنه فضلا عما تفيده هذه المعرفة بتاريخ الشعوب السامية وحضاراتها ودياناتها وعاداتها وتقاليدها تؤدي مقارنة هذه اللغات باللغة العربية إلى استنتاج أحكام لغوية لم نكن نصل إليها لو اقتصرت دراستنا على العربية فحسب ، ونفسر بهذا الأمر سر تقدم المستشرقين في دراستهم للغة العربية ووصولهم إلى أحكام لم يسبقوا إليها "[1] .

وتتمثل أهمية الدراسات السامية المقارنة في كثير من المظاهر ، نذكر منها ما يلي :

1- إظهار حقائق لغوية خفيت عن السلف :

وهو هدف عظيم ظهرت له العديد من النتائج المعاصرة ، يذكر برجشتراسر مثالا لها حيث " ذكر الزمخشري أن الهمزة في ماء وأمواء أبدلت من الهاء مستندا في حكمه على وجود الهاء في مياه (جمع ماء) ، وهذا خلاف الحقيقة ؛ إذ إنا نستنتج من استعراض اللغات السامية الأخرى أن الصورة الأصلية لكلمة ماء كانت : māy أو قريبة منها ، وأن الهاء في (مياه) وما ماثلها من الجموع زائدة . ولو ألم الزمخشري باللغات السامية لسلم من الوقوع في هذا الخطأ "[2] .

ولذلك يؤكد بعضهم أن أكثر ضلالات النحويين واللغويين القدماء نشأ عن جهلهم باللغات السامية على أن بعضها كان شائع الاستعمال في زمانهم .

يقول إسرائيل ولفنسون : " مما يؤسف له أشد الأسف أن جميع علماء اللغة من المسلمين لم يكونوا يعرفون شيئا عن اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحة فنشأ عن ذلك أنهم لم يوفقوا إلى بيان المعاني الدقيقة التي تؤديها كثير من الكلمات العربية في أصل وضعها ونشأ عن ذلك أيضا

[1] - فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب 46- 47 ، فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان 5 .
[2] - التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر 50 – 51 .

وقوعهم في أغلاط فاحشة فيما يتعلق بفهم اشتقاق الكلمات ؛ لأنه ليس من الممكن في كل الأحوال أن يهتدي الباحث إلى أصل اشتقاق الكلمة إذا اقتصر في بحثه على لغة سامية واحدة "1 .

وهذا رأي فيه شيء من التعميم المجحف ، فقد أكد كثير من الدارسين أن بعضا من علمائنا القدامى كان يقف على شيء من الساميات 2، غير أن الحق في كلام ولفنسون أنهم – وإن عرفوا طرفا منها – لم يسخروها في شيء من قضايا اللغة .

ويقول د . إبراهيم السامرائي : " وقد جاء في القرآن ألفاظ لها أصول سامية وجدت في أغلب اللغات السامية ، ولكن الأقدمين وقفوا منها وقفة الجاهل بالأصول فقالوا أقوالا لم تبن على علم ثابت " 3 . ويقول في موضع آخر : " على الرغم مما وضع الأقدمون من منهج في تعريب الكلم الأعجمي مراعين الأبنية والأصوات العربية إلا أنهم لم يسلموا من أوهام كثيرة " 4 .

ويقول د . محمد حسن عبد العزيز : " إن علماء اللغة لم يعرفوا القرابة بين اللغة العربية وأخواتها الساميات فعدوا كل لفظ عربي معروف في السريانية مثلا دخيلا في العربية ولم يعدوا اللفظ من أصل سامي واحد "5 .

ويقول د . أحمد مختار عمر متأثرا بعبارات ولفنسون من قبل : " إن جميع علماء اللغة لم يكونوا يعرفون شيئا عن اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحة ، فنشأ عن ذلك أنهم لم يوفقوا في بيان المعاني الدقيقة التي يؤديها كثير من الكلمات العربية في أصل وضعها ؛ إذ نشأ عن ذلك أيضا وقوعهم في أغلاط فيما يتعلق بالاشتقاق ، كما أن معرفتهم المحدودة باللغات الأجنبية جعلتهم غير موفقين في رد كثير من الكلمات المعربة إلى أصولها الأجنبية "6 .

---

[1] - تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون 217 .

[2] - انظر :العربية واللغات السامية إضاءة ونقد ، محمد صالح توفيق 5 وما بعدها . اللغة العبرية تطبيقات في المنهج المقارن ، محمد صالح توفيق , ص2 وما بعدها .

[3] - فقه اللغة المقارن ، إبراهيم السامرائي 176 .

[4] - دراسات في اللغتين السريانية والعربية، إبراهيم السامرائي 25 .

[5] - التعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة ، محمد حسن عبد العزيز 49 .

[6] - البحث اللغوي عند العرب ، أحمد مختار عمر 56 .

وبالرغم من كل ذلك لا ينبغي لنا أن نهاجم القدماء أو نصفهم بالتقصير ، فقد تطلب البحث العلمي عندهم الاهتمام باللغة جمعا وتقعيدا لما سمعوا وسجلوا ، والبحث في الساميات منهج علمي مستقل وعظيم لم يكن ليترقى ويظهر إلا بعد أن استقرت العلوم العربية جمعا وتقعيدا .

لذلك نجد مرمرجي الدومنكي يدافع عن القدماء قائلا : " على أننا إن وقفنا بنور العلم العصري على حقائق خفيت على السلف فهذا ليس مما يدفعنا – معاذ الله – إلى الحط من قدرهم وبخسهم حقهم ، كلا ! فإنهم إن فاتهم شيء فقد عرفوا أشياء "[1] .

2 – حل قضايا الخلاف اللغوي :

وهي غاية كبرى من غايات البحث المقارن في اللغات السامية ، وهو ما يسعى إليه البحث المطروح بين أيدينا .

يقول مرمرجي الدومنكي :" فضل الألسنية السامية هو أنها تفرض معرفة جميع ألسنة بني سام ولو بدرجات متفاوتة مما يمكن صاحبها من مقابلة هذه اللغات بعضها ببعض فيتوصل إلى استنتاج نتائج وحل مشاكل كثيرة وهو ما يعجز عنه من ليس له وقوف إلا على لسان واحد أو اثنين منها " [2] .

ويقول داود الجلبي الموصلي : " لا شك في أن معرفة الآرامية وغيرها من اللغات السامية تكون واسطة لحل مشاكل لغوية كثيرة في العربية ، كما أن معرفة العربية تحل مشاكل أخواتها الساميات " [3] .

ويقول مراد فرج المحامي متحدثا عن ترابط العبرية والعربية : " توفر لي من العقيدة في النهاية ألا شيء في إحدى اللغتين إلا وهو في الأخرى ، إلا ما فاضت به العربية من سعة ورقي وفضل وسبوغ ، مما لم تضارعها العبرية في شيء منه ، وعلى هذا أراني إذا عز علي شيء في إحداهما استعنت بالأخرى رجاء أن أوفق إلى فهمه ، وكثيرا ما أظفر ، كما أني رأيت وأرى أنه لا يتم الفهم الوثيق الصحيح ، للواقف على إحداهما إلا بمعونة الأخرى . " [4] .

---

[1] - المعجمية العربية في ضوء الثنائية و الألسنية السامية ، مرمرجي الدومنكي , 35 .
[2] - المعجمية العربية في ضوء الثنائية و الألسنية السامية 9 .
[3] - الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية ، داود الجلبي الموصلي 4 .
[4] - ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، مراد فرج المحامي, ج1 / 14 .

لذلك كان من أهمية دراسة اللغات السامية عند د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي وضع حلول لكثير من المشكلات التي اختلف حولها النحاة العرب[1] .

3- بيان منزلة اللغة العربية وفضلها على غيرها :

وتتضح أهمية هذا الأمر إذا علمنا أن كثيرا من دراسات المستشرقين – خاصة في مراحلها الأولى – تحاول تسخير معارفها لخدمة أغراض خبيثة ، تهدف إلى الطعن في القرآن الكريم[2] .

ويشير د . إبراهيم السامرائي إلى ذلك فيقول : " العلم بالساميات وسيلة مفيدة لفهم العربية ولا يمكن فهم الصفات التي تميز العربية عن غيرها من اللغات إلا بالرجوع إلى تلك اللغات التي تتصل بالعربية اتصال النسب "[3] .

ونتيجة للبحث اللغوي المقارن تأكد لكثير من الدارسين المنصفين أن العربية هي أصل اللغات السامية وأن ما يوصف بالسامية الأم لا يبتعد كثيرا عن لغتنا العربية ؛ ولذلك يقول د. ربحي كمال : " بفضل المقارنة اللفظية الفنية في اللغات السامية اهتدينا إلى أن جميع اللغات السامية الداخلة في مجموعة واحدة هي لهجات متقاربة تقاربا وثيقا ، وإلى أن هذه اللهجات منبثقة عن لغة واحدة أولى هي أم هذه اللهجات " [4] .

4- خدمة قضايا المعرب والدخيل :

وأهم فائدة تعود علينا من ذلك إثبات (عروبة) القرآن الكريم بمعناها الواسع " حيث زعم الأولون بأن محمدا – صلى الله عليه وسلم – إما قد تعلم القرآن من نصارى مكة أو من يهود المدينة ، ودليل ذلك هذه الألفاظ المزعوم بعجمتها أو باستعارتها من لغات سامية أخرى . إلا أن الإلمام باللغات السامية من جانب واستخدام المنهج المقارن من جانب آخر يدحض هذه الافتراءات ويثبت إما عروبة هذه الألفاظ وإما اشتراكها السامي بين سائر اللغات السامية "[5] .

---

[1] - انظر : مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية ، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، 38 .
[2] - انظر : مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية ، 38 .
[3] - فقه اللغة المقارن ، إبراهيم السامرائي 191 .
[4] - دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال 29 .
[5] - دراسات في علم اللغة ، آمال ربيع ، 29 .

ويشير إلى هذه الفائدة د. رمضان عبد التواب فيقول : " ومن الممكن أن تفيد هذه المقارنات في إلقاء الضوء على الدلالات المركزية والدلالات الهامشية لهذه اللفظة أو تلك والفصل في قضية التعريب والمولد والدخيل وغيرها من المصطلحات التي تمتلئ بها معاجمنا العربية دون تحديد واضح لتلك المصطلحات "[1] .

ويؤكد د. إبراهيم السامرائي على أن " المتقدمين لم يهتدوا إلى العلاقة بين اللغات التي ندعوها في عصرنا هذا (اللغات السامية) ومن أجل ذلك لم تتضح لديهم مسألة التعريب أو المعرب ، كما خلطوا بين ما هو سامي وما هو من أصل فارسي وهذا يعني أنهم لم يعرفوا هذه اللغات معرفة العالم الذي يستطيع أن يفصل ويدرك الحقيقة "[2] .

ولخص أستاذنا الدكتور محمد صالح توفيق القضية في قوله : " والأمر الذي لا مناص منه هو أن الباحث في اللغة العربية في حاجة ماسة إلى معرفة اللغات السامية ؛ لكي يتضح له الاشتقاق اللغوي في كثير من الأمور التي حار اللغويون العرب في الفصل فيها فعدوها حينا سريانية أو عبرانية ، أو حبشية ، وحينا توهموا لها اشتقاقات عربية غير صحيحة ؛ لعدم وقوفهم على أصل هذه الكلمات في سائر اللغات السامية ، ولا يصح أن يقال عن الكلمات العبرية أو السريانية أنها من الدخيل ، فاللغات السامية كلها تجمعها أصول مشتركة تجعلها أكثر ترابطا عن غيرها من الأسر اللغوية "[3] .

5- خدمة قضايا التطور اللغوي :

ويؤكد ولفنسون أن " هناك جملة من الألفاظ ضاعت من المادة اللغوية الفصيحة ولكنها بقيت مستعملة في اللهجات العامية كما أنها احتفظت على كيانها في بعض اللغات السامية الأخرى مثل العبرية والسريانية "[4] .

---

[1] بحوث و مقالات في اللغة , رمضان عبد التواب 148 .
[2] - دراسات في اللغتين السريانية والعربية، إبراهيم السامرائي 26 .
[3] - العربية واللغات السامية إضاءة ونقد ، محمد صالح توفيق ، 21 .
[4] - تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون 220 .

وتكشف المقارنة بالساميات عن مراحل تطورية للغة العربية تتطلبها قوانين التطور اللغوي وقد غابت عن الدارسين العرب ؛ فخلقت اضطرابا في علاجها ، فالأمر أشبه بسلسلة متعددة الحلقات غابت عنا بعض حلقاتها التي تجعل المشهد كاملا ، أو قل تجعل الصورة أكثر وضوحا .

وتساعدنا النقوش المقروءة حديثا في الجزيرة العربية على إكمال الحلقات المفقودة ، يدل على ذلك ما يذكره د. عبد الرحمن بافقيه من " أن تفسير هذه النصوص باللغة العربية التي هي من نفس الجذع والأرومة مما يعين على فهم أعمق للعلاقات اللغوية بين العربية الحديثة وبين اللغات العربية القديمة " 1 .

ويؤكد جرجي زيدان على هذه الفائدة إذ " ليس لدينا من المواد التي تعين في تتبعنا أصل ألفاظ لغتنا على ما يرام فلعله من النظر في اللغات الأخرى يتجلى لدينا شيء من أمرها " 2 .

كما يعبر أستاذنا د. محمد صالح توفيق عن ذلك بقوله : " وقد أفادت هذه المقارنات في كشف التاريخ السحيق للغة العربية الذي يعود إلى خمسة وأربعين قرنا من الزمان "3 . وفي موضع آخر يقول : " يمكن للباحث اللغوي الملم باللغات السامية أن يؤرخ للعربية ولهجاتها القديمة في ضوء علم اللغات السامية المقارن ، ويفيده في ذلك ما توصل إليه علماء اللغات السامية من إيضاح جوانب كثيرة من حياة العربية في عصرها القديم وقبل تدوينها بزمن طويل " 4 .

كما يؤكد د. إسماعيل عمايرة أن " العربية قد طورت نفسها في مجالات عديدة بالمقارنة مع أخواتها الساميات وقد حصل هذا التطور في جوانب شتى كالأصوات والمعاني والألفاظ والتراكيب ، وقد تم هذا كله في عصور سحيقة قبل الإسلام ، ولئن كانت النصوص التوثيقية لا تسعفنا في الوقوف بدقة على مراحل هذا التطور قبل الإسلام إلا أن مقارنة العربية باللغات السامية تشير دون شك إلى قدر كبير منه "5 .

---

[1] - مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر بافقيه ، ألفريد بيستون ، كريستيان روبان ، محمود الغول ، 8 .

[2] - الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان 53 .

[3] - العربية واللغات السامية ، محمد صالح توفيق 3 .

[4] - العربية واللغات السامية إضاءة ونقد ، محمد صالح توفيق ، ص 21 .

[5] - بحوث في الاستشراق واللغة ، إسماعيل أحمد عمايرة 190- 191 .

ولعل اللهجات العربية تحتاج كثيرا إلى هذه الدراسات المقارنة لتفسيرها صوتيا بطريقة علمية قاطعة تساعدنا فيها المقارنة باللغات السامية ونقوشها . ومن هنا يتبين أهمية الدراسة التاريخية للعربية من خلال هذه المقارنات .

6 – خدمة قضايا التصريف والاشتقاق :

وفي ذلك يقول د. محمد صالح توفيق : " إن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى توضح جوانب الاشتقاق في كثير من الأمور التي حار اللغويون في الفصل فيها ، وأن هناك تطورا عرفته اللغات السامية في الأصوات والصيغ والدلالة ، وأنه من الممكن تمييز الأصيل في العربية الموروث عن اللغة السامية الأم من الدخيل عن إحدى اللغات السامية إلى العربية في ضوء القوانين الصوتية "[1] .

ويقول د. ربحي كمال : " إن النحاة العرب قد تجادلوا كثيرا في تفسير كثير من الكلمات وتحليلها كالضاد وأسماء الإشارة والموصول وإذا كان لهذه الكلمات ما يقابلها في اللغات السامية الأخرى سهل علينا أن نقارن بينها فترد الألفاظ إلى أصولها "[2] .

ويؤكد إسرائيل ولفنسون هذه الفائدة لعالم التصريف لأنه " إذا وازن بين اللغات السامية التي تشترك في كلمة من الكلمات استطاع أن يهتدي بسهولة إلى الحقيقة الواضحة في أصل اشتقاقها "[3]

7– فهم النصوص الأدبية القديمة :

ويزداد فهم النص الأدبي الجاهلي خاصة مع الكشف عن معجم الألفاظ السامي المشترك الذي انتشر جزء منه في المجتمع الجاهلي ، نتيجة احتكاكه التجاري والعسكري بالمناطق الشمالية والجنوبية ، ويعبر أنطون شاك عن ذلك بقوله : " إن محاولة إبراز الثروة اللغوية العربية الموروثة حقا عن السامية المشتركة يجب أن تنطلق من مقارنة باللغات السامية القديمة "[4] .

---

[1] - العربية واللغات السامية ، محمد صالح توفيق 3 ،/ محاضرات في العربية واللغات السامية ، محمد صالح توفيق 7 .

[2] - دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال 31 .

[3] - تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون 217 .

[4] - الأساس في فقه اللغة العربية , فولف يتريش فيشر ، 33 .

وتدعو د. آمال ربيع إلى هذا صراحة فتقول : " على مستوى مفردات العربية يمكن لدارس اللغات السامية الاستفادة في فهم العديد من جوانب الأدب العربي القديم ، إذا استعصت بعض مواضع هذا الأدب على الفهم ؛ لورود ألفاظ ليست أصيلة في العربية الشمالية من لغات سامية أخرى ، مما اضطر شراح الأدب إلى الذهاب مذاهب شتى في شرح مثل هذه المفردات " [1] .

8- دراسة النحو العربي في ضوء منهج جديد :

يتطلب الدرس اللغوي في معظم الأوقات إعادة تجديده بوسائل معاصرة تعيد إليه حيويته وتضيف رؤى أخرى بجانب الرؤى التقليدية المعتادة ، ومن هنا دخل إلى الدرس اللغوي العربي مناهج معاصرة في البحث العلمي تقبلها كثير من الباحثين العرب . خاصة إذا علمنا أنها تضيف إلى التراث العربي ولا تنتقص من قدره ؛ بل تؤكد في معظم الأحيان سبقه وريادته ، مثل النحو التوليدي التحويلي ونحو النص وعلم اللغة النفسي ، وعلم الأصوات الحديث ..الخ .

والوضع هنا يجوز أن نسميه إعادة تحديث التراث العربي ، ويفرض أهميته انطلاقا من تعظيم كثير من الباحثين العرب لمعطيات التراث العربي – خاصة موضوعات بحثهم – تعظيما يصل لدرجة التقديس ، وهذا ما جعل د. رمضان عبد التواب يطلق هذه الدعوة لشباب الباحثين فيقول : " وليست كل التفسيرات التي قدمها النحاة القدامى للظواهر اللغوية في العربية حظلا نحذر الناس منه أو خطايا نستغفر الله للنحاة العرب من الوقوع في أدرانها ، وإنما نحذر بعض شبابنا الباحثين من الوقوع أسرى لبعض هذه التفسيرات الواهية ، وندعوهم إلى إعمال العقل في المنقول عن هؤلاء النحاة من مختلف التفسيرات للظواهر اللغوية "[2] .

ولم يبتعد د. إسماعيل عمايرة كثيرا عن هذا الوصف حين قال : " إن مراجعة الدرس النحوي – كسائر العلوم – أمر حيوي ، وهناك العديد من الأمثلة التي تؤكد ضرورة هذه المراجعة في ضوء ما يجد من العلوم كنظريات علم اللغة الحديث أو معطيات علم الساميات ، والإمكانات العصرية كوسائل الإحصاء المتطورة ، يحدونا هدف سام هو خدمة هذه اللغة حتى لا تضيع كما تضيع كثير من قضايانا في

[1] - دراسات في علم اللغة ، آمال ربيع 26 .
[2] - بحوث و مقالات في اللغة , رمضان عبد التواب 153 .

حومة الغبار الخانق الذي يتركه هذا الصراع البغيض حين يقدس القديم لقدمه ، أو يمجد الجديد لزهو بريقه "1 .

9- تكامل مناهج البحث العلمي :

وهذا ما يؤكده د . محمد صالح توفيق عندما قال : " إن اختلاف المناهج في دراسة الظواهر اللغوية قد يساعد في إضاءة الحقيقة اللغوية ، والوقوف على جوانبها المتعددة ، وربما لا يتاح للباحث من خلال منهج واحد أن يرى ما يمكن أن يراه باستخدام منهجين أو أكثر "2 .

ويذكرنا د. إسماعيل عمايرة بطبيعة التطور في العصر الذي نعيشه حيث " إن أدوات البحث اللغوي وإمكاناته ومناهجه قد تيسرت ونمت ، فكان علينا حينما استدعى الأمر أن نعتبر من هذه الأدوات في زيادة الإضاءة حول الظاهرة لكي نستكمل الصورة ونستجلي معالمها التي لم تستطع الأدوات القديمة أن توضحها "3 .

10- الاستئناس بالنظير :

وهو أضعف الإيمان من فوائد الدراسات السامية المقارنة ، ومجرد الاستئناس بالنظائر السامية يكون عند توافر دلائل القضايا اللغوية في لغتنا العربية واستقرار الدارسين حولها ، ومن ناحية أخرى يكون مجرد إضافة معرفية لا تزيد شيئا في المعارف المطروحة أكثر من التأكيد والاطمئنان .

وأول من تنبه لهذا المبدأ من القدماء ابن جني الذي أشار إلى الاستئناس بالنظير (ولم يقصد الساميات تحديدا) في حالة وجود الدليل ، فقال : " أما إذا دل الدليل فإنه لا يجب إيجاد النظير وذلك مذهب الكتاب ، (يقصد كتاب سيبويه) فإنه حكى فيما جاء على (فِعِل) (إبِلا) وحدها ، ولم يمنع الحكم عنده أن لم يكن لها نظير ؛ لأن إيجاد النظير بعد قيام الدليل إنما هو للأنس به لا للحاجة إليه "4 .

---

[1] - بحوث في الاستشراق واللغة ، إسماعيل أحمد عمايرة 109 .
[2] - محاضرات في العربية واللغات السامية ، محمد صالح توفيق 56 .
[3] - ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية ، دراسة لغوية تأصيلية ، إسماعيل أحمد عمايرة 6 .
[4] - الخصائص لابن جني 197/1 .

ودعا الدكتور عبد الرحمن السليمان إلى دراسة اللغات السامية انطلاقا من هذا المبدأ وأضاف إلى ذلك قوله : " إن الفائدة هنا معرفية بحتة للتمتع بنظرة (هيلوكوبترية) إلى الكل من جهة ، وكذلك معلوماتية من جهة أخرى أي أن نعرف أصل الأشياء " [1].

***

كانت تلك إطلالة على أهمية الساميات المقارنة ، وبالنظر في مجالات اللغة وفروعها نجد أن أكثر الفروع فائدة في المقارنات هو الصرف ثم الدلالة ثم الأصوات ، والمجال التركيبي هو أقل الفروع استفادة من الدرس السامي المقارن ؛ لما تختص به كل لغة في نظام تراكيبها وبلاغتها وذوقها في التواصل بين أفراد المجتمع ، كذلك بما تميزت به العربية في عدد من أبواب النحو وتفاصيلها الخاصة التي لا توجد بشكل ملحوظ في أخواتها الساميات ، مثل تعريف الحال وتنكيره ، وقواعد الوجوب والجواز في التقديم والتأخير وغير ذلك .

ويذكر د. تمام حسان ما تتميز به الأنظمة اللغوية من " صعوبة الاستعارة من لغة إلى أخرى فلا تستعار أداة ولا رتبة ، ولا صيغة ولا باب نحوي من لغة إلى أخرى في العادة . والملاحظ أن مجال الاقتراض بين اللغات هي الكلمات المفردة وهي مكونات المعجم " [2] .

ونستطيع أن نصنف قضايا الخلاف مقارنة باللغات السامية في الحالات الأربع التالية :

1- قضايا خلافية تم حلها بالفعل بواسطة أفكار القدماء ومعطياتهم ويغلب عليها الملمح النحوي التركيبي ، وربما تفيدنا الدراسة السامية المقارنة في هذه الحالة بما يسمى الاستئناس ، وهو ما يؤكد معطيات الدارس ويطمئنه إليها .

2- قضايا خلافية لا يجدي في حلها كثيرا النظر في الساميات المقارنة أخوات العربية وذلك إذا كانت تلك القضايا من السمات الخاصة جدا باللسان العربي ، من قبيل قضايا أفعل التفضيل وأفعل التعجب ، أو القضايا المرتبطة بالحركات نظرا لاعتمال الدهر فيها ، وعلى الباحث في هذه الحالة إذا لجأ

[1] - ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , الجمعية الدولية لمترجمي العربية .موقع الكتروني .
[2] - اللغة العربية معناها و مبناها ، تمام حسان 313 – 314 .

إلى الدرس المقارن أن يتحرى التقارب الجغرافي الذي يؤكد تقارب النطق للظاهرة المطروحة في نطاق جغرافي متقارب ، ومن ذلك دراسة اللهجات العربية الشمالية مقارنة بجيرانها النبط أو اللحيانيين أو العبرانيين أو الكنعانيين .. الخ . أو اللهجات العربية الجنوبية مقارنة بنطق العمانيين وأهل اليمن وغيرهم .

3- قضايا خلافية يمكن حلها بدون النظر في الساميات وذلك من خلال معطيات علم اللغة الحديث ومن هذه الموضوعات ما يختص به علم الأصوات الحديث الذي تنطبق معطياته على كل لغات البشر عموما ، مثل قوانين المماثلة والمخالفة وقواعد النطق ومخارج الأصوات وغيرها . وفي هذه الحالة لا يمتنع النظر في الدرس السامي المقارن بوصفه واحدا من تلك المجالات الأقرب إلى العربية بالطبع .

4- قضايا خلافية في حاجة ملحة للنظر في الساميات لإيجاد حلول حاسمة لها ويغلب على تلك القضايا الناحية الصرفية والدلالية ، وفي هذه الحالة يهمنا جدا النظر في اللغات السامية ، وسيفيدنا ذلك في حل جذري للخلاف أو على الأقل ترجيح رأي على آخر .

نخرج من تلك الحالات إلى أن النظر في الساميات المقارنة سوف يؤدي بنا إلى نتائج متنوعة في حل قضايا الخلاف اللغوي في اللغة العربية ،حيث يتوقع أن تفيدنا هذه المقارنات بواحدة من الصور التالية :

ا– تقديم حل لقضية خلافية بصورة حاسمة للخلاف .

ب- تقديم حل لقضية خلافية بصورة مرجحة لرأي خلافي على نظيره .

ج- تقديم رؤى لغوية جديدة تؤكد أو تنفي آراء علمية متفق عليها بين الدارسين ولا تدخل في حيز الخلاف أصلا .

د- تقديم خيارات بديلة لحلول تقليدية ، مع عدم رفض ما هو قائم بالفعل .